

الخصائص الصوتية في اللهجات اليمنية لهجة "العود" أنموذجاً

د. عبدالكريم محمد قاسم

أستاذ اللسانيات المساعد - كلية الآداب - جامعة إب

ملخص البحث:

موضوع هذا البحث الخصائص الصوتية في لهجة العود، حيث يجري النظام الصوتي للهجة المدروسة ستة وعشرين صوتاً، ولهجة العود تشتمل على نوعي الأصوات (الصامتة والصائتة)، كما في العربية الفصحى، لكن نطق كل صوت فيها، يختلف - أحياناً - حسب موقعه في الكلمة، والبيئة وطبيعة المتكلم وقد قسمت هذه الأصوات على مجموعات من حيث مخرجها مثل الأصوات الشفوية والأسنانية واللثوية... إلخ، وطريقة أو كيفية نطقها مثل الأصوات الانفجارية والاحتكاكية... إلخ.

وقامت الدراسة على جوانب عدة:

الأول: دراسة الأصوات المفردة دون أن تتداخل مع غيرها أو تتأثر بما قبلها وما بعدها من الأصوات.

الثاني: دراسة الأصوات حين تتأثر بغيرها، فقد ثبت أن الأصوات تتغير، بالإبدال والقلب بصورة كبيرة.

الثالث: دراسة ظاهرة إبدال الأصوات، والمماثلة، والاقحام، والنبر التي كان سببه راجعاً إلى طبيعة البيئة التي يعيش فيها سكان القرية التي لا تزال تحمل طابع الحياة البدوية وخصائصها. وخلصت الدراسة إلى:

- حافظت اللهجة على بعض الأصوات الساكنة التي فقدت في معظم اللهجات العربية الحديثة.
- معظم الظواهر الصوتية في اللهجة المدروسة تشترك فيها المناطق اليمنية بعضها مع بعض.
- الاختلاف في نطق الأصوات الصامتة والأصوات اللين.
- الاختلاف في موضع النبر والاقحام والمماثلة.

مقدمة:

موضوع هذا البحث الخصائص الصوتية في اللهجات اليمنية، لهجة مخلاف العود "أنموذجاً" فيراد بهذا العنوان دراسة الأصوات اللغوية في لهجة العود في محافظة الضالع. ولهجة العود تشتمل على نوعي الأصوات "الصامتة والصائتة"، كما في العربية الفصحى، لكن نطق كل صوت فيها، يختلف - أحياناً - حسب موقعه في الكلمة، وطبيعة المتكلم به، ولذا

آثرنا أن نصف كلاً من أصوات تلك اللهجة في حال إفراده، وحال تأثره بغيره، أو جريانه على لسان أهل البادية.

ولهجة "العود" إحدى لهجات اليمن، التي هي جزء من جزيرة العرب، ولا ريب أن دراستها تعد حلقة في سلسلة الدراسات اللغوية المتعلقة باللهجات الدارجة، ولها أهمية خاصة لأنها لهجة تعيش في منطقة ذات أصل عربي عريق. وبوقوفنا على خط سيرها واستقامته أو اعوجاج عن اللغة الفصحى، نضع هذا النموذج أمام الدراسات اللغوية الصحيحة، لنقوم انحرافه، فنكون قد عالجتنا عضواً في جسم الكيان العربي اللغوي.

ودرستنا لخصائص لهجة "العود" تقوم على أساس بيان طريقة نطق الأصوات فيها، وما حدث لها من تأثيرات أو تغيرات.

مخلاف العود (منطقة الدراسة):

العود وهو مخلاف واسع ذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان بأنه "مخلاف يسكنه العوديون من ذي رعين وغيرهم من قبائل حمير وفيه جبل جباً وسحلان ووراخ وهو بن موسى بن الكلاع^(١).

ومخلاف العود مازال بنفس المسمى حتى اليوم والعود "بلدة من مديرية النادرة بالشرق الشمالي من إب ينسبها الإخباريون إلى العود بن عبدالله بن حارث ذو أصبح، وهي من المناطق الغنية بالآثار"^(٢)، وفيها حصون شهيرة منها جبل العود، وحصن مضرخ، وحصن حنول، وحصن منيف، ومخلاف العود اليوم يتبع إدارياً ثلاث مديريات هي مديرتي: قعطبة ودمت من محافظة الضالع، ومديرية النادرة من محافظة إب، ويتوزع على إحدى عشرة عزلة هي: منقير، كنة (دمت)، حدة، الشعب، الزمازم، الفجرة، الشرنمة العليا، العارضة (النادرة)، الشرنمة السفلى، الوجد، الاعشور - ميدان الدراسة - (قعطبة).

منهجية الدراسة:

يدرس هذا البحث الخصائص الصوتية في تلك اللهجة، ينبغي أن نتناول مخارج الحروف وصفاتها، ولدرستنا جوانب عدة:

الأول: دراسة الأصوات حين تكون في موقع يسمح لها بالنطق مفردة دون أن تتداخل مع غيرها أو تتأثر بما قبلها، وما بعدها من الأصوات.

الثاني: دراسة الأصوات حيث تتأثر بغيرها، فقد ثبت أن أصوات الحروف حينئذ تتغير، بالإبدال والقلب بصورة كثيرة.

الثالث: دراسة ظاهرة إبدال الأصوات وظاهرة المماثلة وظاهرة الإقحام والنبر، التي كان سببه راجعاً إلى طبيعة البيئة التي يعيش فيها سكان الحياة القبلية أو سكان القرى التي لا تزال تحمل طابع الحياة البدوية أو الصحراوية وخصائصها.

ودراستها للأصوات اللغوية، يشمل نوعيها الصامت ويقصد بها: الأصوات التي يقل وضوحها في السمع، لانباس الهواء معها، في إحدى مناطق النطق، بحيث يتسبب في خفاء الكثير منها عند النطق به، فلا يمكن التفريق بين بعضها، وبعض أحياناً فعند نطق الكلمات (كتب - كئب) لا يميز السامع بينها بسهولة تقارب التاء والتاء في النطق^(٣).

أما النوع الثاني فهو ما أطلق عليه علماء اللغة المحدثون اسم (الأصوات الصائتة أو الصوائت) وهو خاص بأصوات المد والحركات القصيرة، وسميت بذلك لوضوحها في السمع نتيجة انطلاق الهواء معها، دون عائق يحبسها في إحدى مناطق النطق^(٤).

أولاً: الأصوات التي لا تتأثر بغيرها:

الأصوات الصامتة:

يجري النظام الصوتي للهجة العود ستة وعشرين صامتاً، وقد قسمت هذه الأصوات إلى مجموعات من حيث مخارجها مثل الأصوات الشفوية والأسنانية واللثوية... إلخ، وطريقة أو كيفية نطقها مثل الأصوات الانفجارية والاحتكاكية... إلخ، وهي إما أن تكون مهموسة أو مجهورة، والصوت المهموس لا يتذبذب معه الأوتار الصوتية مثل أصوات التاء والكاف والتاء والسين والخاء والحاء، والصوت المجهور يصاحبه تذبذب في الأوتار الصوتية مثل الباء والداد والقاف والذال والزاي والغين والعين والجيم.

١ - الصوامت الانفجارية : (الهمزة، ب ، ت ، د ، ر ، ط ، ك ، ق).

الهمزة: وهي من حروف الحلق لا هو بالمجهور ولا بالمهموس. وتنطق الهمزة في لهجة العود نطقاً عربياً، فصيحاً، من مخرجها الطبيعي، بل إنهم يخرجونها، نوعاً من القرقة، أو الانفجار الشديد، كما يلاحظ ذلك في نطقهم مثلاً: ماء، جاء، تأمل، فأس، أنا، أبي.

الباء: وهي من حروف الشفتين، وهي صوت مجهور شديد، وينطق فصيحاً في لهجة العود، كما يلاحظ ذلك في نطقهم مثلاً: قبل ← باقي ← بلاد ← قبيلة.

التاء: مخرجها طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، وتوصف بالهمس عند القدمات والمحدثين جميعاً. وتتطق بمخرجها العربي الفصيح في لهجة العود، مع نوع من الترخيم، الذي يلائم طبيعة البادية، والحياة فيها، ويمكن ملاحظة ذلك في نطقهم هذه الكلمات: بتخايك، قلت، تحت.

ويظهر هذا الترخيم ليس خاصاً بالتاء، فهم ← بصفة عامة ← يفخمون الأصوات، ويبرزونها قوية خشنة.

الدال: مخرجه من طرف اللسان على النحو السابق، وأهم ما تتصف به الجهر، والشدة. وقد لاحظت أن نطق هذا الصوت في لهجة العود، يميل به نحو الهمس - قليلاً - حينما لا يقع تحت تأثير غيره من الأصوات المجاورة له، فهو يظهر مائلاً إلى صوت التاء المهموس وتأمل نطقهم لهذه الكلمات: الوساييت ← الوساييد، تخلنا ← دخلنا، مقصتي ← مقصدي، متري ← مدري، بقلب الدال إلى تاء.

الطاء: مخرجه من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا: يتفق القدمات والمحدثون، في مخرجها المذكور ولكنهم يختلفون في وصفها بالجهر أو الهمس، فيرى الأولون أنها مجهورة والآخرين أنها مهموسة.

ولا تعارض بين الرأيين حقيقة، فالقدمات يتكلمون عن الطاء العربية الأصلية التي سمعوها من العرب، ودونوها في كتبهم مخرجاً، وصفة والمحدثون يتكلمون عن طاء أخرى مولدة هي التي تتطق بها بعض لهجات العرب وما يؤكد صحة القدمات في نطق الطاء فاليمينيون - بعامة - ولهجة العود بخاصة ينطقون صوت الطاء قريباً من نطق ما ينطبق عليه وصف القدمات للطاء العربية بالجهر.

فلو لاحظنا نطقهم الطاء في هذه الكلمات: اقطب ← (أسرع)، مطنن ← (مفكر)، الطريق، الطاقة (نافذة)، طماطيس ← (طماطم).

نلاحظ هذا الصوت ينطبق عليه وصف علماء اللغة العرب فقد قال سيبويه لولا الاطباق لصارت الطاء دالاً^(٥). ورد ذلك القول ابن جني^(٦).

وهذا يؤكد لنا أن نطق أهل العود هو العربي الفصيح، بل يمكن دون جدال أن نستدل به على صحة كلام علمائنا السابقين في وصف الأصوات العربية. فعلياً أن نقوم تلك الدراسة بميزان كلام السابقين لأننا نثق في صحته واستقامته.

والطاء التي تجري على ألسنة العرب اليوم طاء حديثة، لم تعرفها العربية من قبل، وهي مهموسة كما يقول المحدثون، لأن هذا الوصف ينطبق عليها، وتبقى لهجة العود - كغيرها - من لهجات البدو - معبرة عن النطق العربي الفصيح لهذا الصوت.

القاف: مخرجه من أقصى اللسان، مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى^(٧)، ويسمى صوتاً لهوياً، لأن اللهة تشارك في إنتاجه، ولذا وصفه الدكتور السعران بأنه: صامت لهوي انفجاري^(٨).
بيد أن الاقدمين وصفوه بالجهر، والمحدثين بالهمس، وقد بنى المحدثون رأيهم على ما يسمع من نطق القراءات القرآنية في مصر الآن^(٩).

ويقول أحد الباحثين "وقد عد قداماء اللغويين العرب، (القاف) من الأصوات المجهورة، فإن صدق وصفهم هذا، كان ذلك النطق، من التغيرات التاريخية في العربية القديمة، وقد بقي هذا النطق المجهور في أغلب البوادي العربية في الوقت الحاضر"^(١٠).

وكل هذا لا يمكن رده أو قبوله، لأن العرب الفصحاء قد انقرضوا ولم نستطع الوقوف على الطريقة التي كانوا يتبعونها في نطق هذا الصوت.

وأياً ما كان الأمر، فإن أهل العود ينطقون القاف - كغيرهم من قبائل العرب البدوية - (جافاً) مجهورة كالجيم القاهرة، ومن أمثلة ذلك نطقهم: قد شرق والمقاضي معي ← الوقت متأخر والمصروفات معي - تتقالي ← تتشاجرین - تناقص - قرقوش - قديه للحلق ← (قد هي للحلق) - شقاه.

الكاف: مخرجه من أقصى اللسان، مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، إلا أنه مهموس بانفاق القداماء والمحدثين انفجاري (شديد).

وينطق هذا الصوت بطبيعته العربية في العود، مثل: اسكبه ← صبه ← (نام نومة أهل الكهف) وأهل اللهجة نم نومة أهل الكهف كذاب ← ذولاك ← أولئك ← ويقولون الأعور ببلاد العمى فكوهه.

الصوامت الاحتكاكية: (ف، ث، ذ، ظ، س، ز، ص، ش، خ، غ، ح، ع، الهاء) ينشأ الصوت الاحتكاكي عن احتكاك تيار النفس بجدران الممرات الصوتية نتيجة لإعاقة التيار جزئياً.

الفاء: فهو شفوي أسناني مجهور شديد

وينطق فصيحاً في اللهجة المدروسة، ومن أمثلة ذلك: عفاريت - حفر - غرفة - فلفل - قرنفل.

الثاء: من أصوات طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا، مهموس، رخو. وقد بقي على نطقه الصحيح في لهجة العود - كسابقه - فلسان العرب - هناك يرتفع طرفه بحيث يتصل بأطراف الثنيتين العليين، في صورة تحمل الطابع الأصيل ويمكن إدراك ذلك مما يوحد في النصوص المسجلة، وما لاحظته بالمشافهة، في مثل: تماثيل - ثور - ثلاثين - حراثة، ثنتين - ثنين - يقول المثل: "ما يزوج الثنتين إلا غزير المال ولا قليل الحياء".

وهكذا نلاحظ النطق العربي الفصيح لهذا الصوت الذي يحتاج إبرازه إلى جهد^(١١). بخلاف ما طرأ عليه من تطور في كثير من اللهجات العربية الحديثة، ففي لهجة مصر - مثلاً - انقلبت الثاء تاء في بعض الكلمات مثل: تلاته وتالت في ← (ثلاثة وثالث) وسيناً في بعضها الآخر مثل (سبت) ← ثبت، وبحوس ← (بحوث) سلاجة ← ثلاجة، فترى أنها انتقلت من الثاء إلى حرفين آخرين فيهما نوع من الارتكاز الذي يقلل من الجهد العضلي.

الذال: من أصوات طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا، وهو مجهور رخو. وينطق بفصاحة في لهجة العود، ولعل سائر مناطق اليمن كذلك، فهم يخرجون لسانهم، بحيث يبدو الصوت من طرف اللسان حين يتصل بأطراف الأسنان المعروفة بالثنايا - بوضوح جلي. ويبدو ذلك من الاستماع إليهم، ومن أقوالهم المدونة مثل: هاذا، هاذي ← هذا، هذه، قذاره، ذكرى يقول المثل: "إذا كثروا الطباخين خرب المرق" الشاهد "إذا"، ذره - أذان.

يتبين من هذا وغيره - صحة نطق اللهجة المدروسة للذال، وبقاء هذا الصوت الذي يحتاج إلى دقة في استخدام أعضاء النطق.

ولذا انحرف في بيئات عربية أخرى، ففي مصر - مثلاً - قد تحول - إلى صوت الزاي الذي هو من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا فالفعل (ذهب) ← زهب، و(ذنب) ينطقونه (زنب)، ذكي ← زكي.

وأحياناً تحول الذال إلى حروف أخرى كالدال في مثل: يدبح ← يذبح، وذهب ← ذهب، وغير ذلك كثير، بيد أن الدكتور عبدالعزيز مطر يذكر أن بدو ساحل مربوط لا يزولون يحتفظون بهذا الصوت^(١٢).

الطاء: من أصوات طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا، وأهم ما يتصف به الجهر، والرخاوة، والاطباق، وينطبق في اللهجة المدروسة - بصفاته العربية الفصيحة، وبخاصة الاطباق الذي يتمثل في بروزه واضحاً، بتفخيم ظاهر، بخلاف ما ينتشر في البيئة القاهرية من ترقيق هذا الصوت، وقربه في النطق من صوت الزاي.

فيمكن أن نحس فيما يجري على لسان لهجة العود بتمثل المخرج والصفات كاملة لهذا الصوت كما هو في كتب اللغة، ونلاحظ ذلك من سماع التسجيل الصوتي للكلمات الآتية:
(يظلين يودرين هانه - لا يظلى يودر - ظلى مكانيش جالسو وأيضاً: يحفظش، ظهري، ظلين فارغات...وهكذا).

السين: من أصوات طرف اللسان مع أطراف الثنايا السفلى، ويصفه علماء اللغة بالهمس، والرخاوة، كما أن له خاصية الصفير، وهو صدور صوت مصاحب له يشبه صفير الطائر. وينطق عربياً في اللهجة المدروسة، ومن أمثلة ذلك: أمسوا ساهرين - نسوان - مسنين - واقفين ، سرح - ذهب، إجلس ← اجلس.

الزاي: مخرجه من طرف اللسان مع أطراف الثنايا السفلى، ويصفه علماء اللغة أنه مجهور والرخاوة، كما أن له خاصية الصفير، وهو صدور صوت مصاحب له يشبه صفير الطائر.
وينطق عربياً فصيحاً في اللهجة المدروسة، ومن أمثلة ذلك قولهم: ما يزوج الثنتين إلا غزير المال ولا قليل الحياء، وأيضاً: مغزي - زيت - غاز، القاز أبيض من الديزل.

الصاد: مخرجه من طرف اللسان مع أطراف الثنايا السفلى، وهو مهموس، رخو، ويمتاز كالصوتين السين، والزاي بأن له صوتاً يشبه صفير الطائر حال التقوه به.

وينطق فصيحاً في اللهجة المدروسة، إذا لم يتأثر بغيره، أو بموقع خاص، ومن أمثلة ذلك:
العصيد (نوع من الأكل مصنوع من طحين الذرة)، الرصدة (الطريق المعبد)، صيام، صلاة.

الشين: مخرجه من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، ويتصف بالهمس، والرخاوة، والتفشي، وينطق في اللهجة المدروسة كما في الفصحى ومن أمثلته: في المثل: (مخرب زاد على عشرة عمارين)، (يخلق من الشبه أربعين)، وأيضاً نشثري، شرقت الشمس.

الخاء: مخرجه من أدنى الحلق، وهو مجهور، رخو، وينطق فصيحاً في اللهجة المدروسة، مثل: خير إن شاء الله، خميرة (قطعة من الخبز)، خلبه (قطعة من الطين) يخلق، مخرب.
الغين: مخرجه من أدنى الحلق، وهو مجهور، رخو، وينطق عريباً فصيحاً في اللهجة المدروسة مثل قولهم: (غوى غوى يا فرحت الكسلة)، وأيضاً: شغلونا، غثانا، غمرة، غاوي.
الحاء: مخرجه من وسط الحلق، وهو مهموس، رخو، وينطق فصيحاً في اللهجة المدروسة، حين لا يؤثر عليه غيره، مثل قولهم: (لا شبع الحمار نعط)، (ونعطط: يسرع)، وأيضاً اشرح، مرتاح، حمية.

العين: مخرجه من وسط الحلق، وهو مجهور، ووصفه علماءنا القدماء بأنه متوسط بين الشدة والرخاوة، وقال أحد المحدثين^(١٣). إنه رخو ولكن لم يتضح أمره لمعظم الباحثين ويرد على لسان اللهجة المدروسة عريباً فصيحاً مثل قولهم: (لا تكرع شفونك)، (من طعم الحالي دندل مشافيره)، وأيضاً رجعنا، عويلة، يعلم الله.

الهاء: مخرجه من أقصى الحلق، كما ذكر سيبويه وابن جني، وهو مهموس رخو. ويوجد في اللهجة المدروسة فصيحاً، حين يقع غير متأثر بغيره مثل قولهم: (اليهودي لو فلس قلب بدفاتره القديمة)، (يحلها الحلال)، وأيضاً: أهبل، هم، هن، همة.

٣- الصوامت الأنفية: الميم ، النون.

وهي أصوات رنينية يعتمد في إصدارها على التجويف الأنفي إذ يتغلق ممر الفم ويقتصر مرور تيار النفس على الممر الأنفي، ليساهم الحنك الخلفي في إحداث هذا الانغلاق عن طريق نزوله إلى أسفل.

الميم: وهو من أصوات الشفتين وهو مجهور، متوسط بين الشدة والرخاوة، ويمتاز بخاصية مرور الهواء معه من الأنف بعد انطباق الشفتين، انطباقاً تاماً، فتسدان مجرى الهواء الفموي، وتجعلانه يتجه إلى مجرى الأنف، محدثاً ما يعرف لدى الفراء.

وهذا الصوت يخرج فصيحاً في اللهجة المدروسة، ومن الأمثلة مره ← امرأة، يميناك، صوم، شرنمة ← اسم القرية، محمد، مسقوفة، مجزرة.

النون: مخرجه من طرف اللسان مع اللثة العليا، إلا أن الأنف يشارك الفم في خروجه، فالهواء معه يمر إلى نهاية الفم، ثم يتجه إلى الأنف، حين يتصل طرف اللسان باللثة فيخرج منه محدثاً الصوت المعروفة بالغنة.

ويوصف هذا الصوت بالجهر، والتوسط بين الشدة والرخاوة، وهو رفيق الصوتين (ل - ر) في مجموعة الحروف الواضحة. ونطقه في اللهجة المدروسة فصيح كما هو في الأمثلة الآتية: نوم، نعجة، نبيل، نعمة، ناجي، ناهي ← حاضر أو تمام.

٤ - الصوامت الجانبية: اللام

والصوت الجانبي صوت رنيني يمر أثناء تيار النفس من جانب الفمي. اللام: مخرجه من طرف اللسان مع اللثة العليا، وهو مجهور ومتوسط بين الشدة والرخاوة، فهو من مجموعة الأصوات المتوسطة وهو وصف القدماء لها بالتوسط بين الشدة والرخاوة^(١٤). وهذا الصوت نطقه في اللهجة المدروسة فصيح، وله صفات النطق العربي الفصيح من خلال الأمثلة الآتية: اشتغلنا، صلينا، نزلنا، أكلنا، القرية.

٥ - الصوامت المستله: الراء

وهو صوت انفجاري ينطبق بسرعة الراء: مخرجه من طرف اللسان مع اللثة العليا، وهو مجهور متوسط، ويوصف بأنه مكرر، لأن اللسان تتكرر حركته واتصاله باللثة العليا أكثر من مرة، حال النطق به. وينطق فصيحاً في اللهجة المدروسة في مثل قولهم (بكرة تنفرج)، وقولهم: (لقا تضاربوا الرياح شرح حولك)، يضرب هذا المثل للتحذير من مراوغة ومخادعة العدو المتريص. وأيضاً: رجال، شر، سمرة، رقدة.

٦ - الصوامت المزجية: الجيم

وهو صوت امتدادي يفتح فيها انغلاق الانفجاري ببطء يؤدي إلى صوت احتكاكي. الجيم: مخرجه من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، ويصفه القدماء بأنه شديد، على حين أن المحدثين يقولون: إنه قليل الشدة، لأنه حال نطقه (يلتقي وسط اللسان بوسط الحنك الأعلى، التقاء يكاد ينحبس معه مجرى الهواء، فإذا انفصل العضوان انفصلاً بطيئاً، سمع

صوت يكاد يكون انفجارياً هو الجيم العربية الفصيحة، فانفصال العضوين - هنا - أبطأ قليلاً منه في حالة الأصوات الشديدة الأخرى، ولذلك يمكن أن نسمي الجيم العربية الفصيحة صوتاً قليل الشدة^(١٥).

ويصفه الدكتور تمام حسان بأنه غاري مركب مجهور مرقق^(١٦).

فهذا الصوت ينطق فصيحاً في اللهجة المدروسة، وقد لوحظ ذلك من خلال التسجيل الصوتي، ومن السماع لأهل هذه اللهجة لهذا الصوت، أثناء الحديث معهم. فهم يخرجونه من مكانه الصحيح، من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، وهم يعطشونه بمقدار ما نقل لنا عن العرب الفصحاء، كما أن صفة الجهر التي نقلها لنا علماء اللغة - كسيبويه - تتحقق في هذا الصوت الذي يجري نطقه في اللهجة المدروسة، في مثل هذه الكلمات: جنبية - جبا - جهال - جاوع - تجاهك - تراجم - بتجو - جلس ← جلسه^(١٧). وهكذا لو تتبعنا كثيراً من الأمثلة لوجدنا أن الجيم تنطق عربية فصيحة في العود، بالتعطيش المقرر لها في كتب الأصوات، وبالشدة التي وصفها بها القدماء في كتبهم.

ثانياً: تأثر الأصوات بغيرها:

١ - الصوامت:

في لهجة العود طائفة من الأصوات الصامتة تتأثر بغيرها، فيعتبرها الإبدال والقلب، وسنبين هنا اتجاهاتها، والقوانين التي تحكمها.

صوت الهمزة:

١- ظاهرة الحذف:

تخلصت لهجة العود من صوت الهمزة، في كثير من مواقعه، بالحذف في مواقع مختلفة من الكلمة، أولاً، ووسطاً، وآخرًا.

فمثال حذفها أولاً: حدا - الفكار - الخوة - الكمة - يابي - رقد - صحاب وهي على التوالي: أحد - الأفكار - الأخوة - الأكمة - يا أبي - ارقد - أصحاب.

ومثال حذفها وسطاً: مرة - فجة - سل - وهي على التوالي: امرأة - فجأة - اسأل.

ومثال حذفها آخرًا: جا - غدا - عشا، وهي على التوالي: جاء - غداء - عشاء.

التحليل اللغوي لظاهرة الحذف:

يتبين من الأمثلة السابقة أن الهمزة في لهجة العود تحذف وسطاً، كما تحذف آخرًا، ولا تحذف أولاً إلا في حالة الوصل في معظم الأحيان أما في غير حالة الوصل، فإن أهل العود ينطقها دون حذف.

وحذفها يتجه إلى التخلص من مقطعها الذي يحتاج إلى ضغط وشدة، لتتجه الكلمة ناحية السهولة.

ويلجأ أهل العود إلى حذف الهمزة أولاً، للتخلص منها، اختصاراً لمقطعها مثل: لاحدا - لخي، وفي حالة الوصول للهمزة يعمد كثيراً إلى حذفها التي كانت جزءاً من مقطع مغلق، تبتدئ به الكلمة، ويكون من الصوت الساكن السابق لها والصوت التالي لها مقطعاً مغلقاً جديداً، كما في: لجل - شرقد - لعمال - الخ.

وقد يحول أهل المنطقة المدروسة المقطع المغلق في أول الكلمة إلى مقطع مفتوح فكلمة (مرأة) ينطقها (مرة)، وكلمة (فجأة) ينطقها (فجة)، ويتوصل لذلك بتحريك الساكن، أو بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها.

وفي آخر الكلمات تتخلص اللهجة من مقطع الهمزة، كما في غدا - عشا - جا، وكذا إذا اتصلت الكلمة المشتملة على الهمزة بغيرها، كما إذا كانت فعلاً اتصل بضمير أو علامة تأنيث - مثلاً - فإن مقطع الهمزة يحذف، وينشأ مقطع مغلق من المقطع المفتوح الذي قبلها، والضمير أو علامة التأنيث فمثلاً: (جاءوا) و(جاءت) يقول فيهما (جوا) - (جت) فيحول اللين الطويل إلى لين قصير يتصل بالصوت التالي للهمزة، فيكون معه مقطعاً مغلقاً جديداً، وبذلك تصير الكلمة مكونة من مقطع واحد مغلق، بعد أن كانت تشتمل على مقطعين أحدهما مفتوح والآخر مغلق.

مما سبق أقول: إن ما حصل إنما ألقى المتكلم حركة الهمزة على الساكن الذي قبلها، ثم استغنى عنها، تخفيفاً وتوفيراً للجهد الذي يؤديه جهاز النطق في إخراج الهمزة، لأن الهمزة حرف بعيد المخرج جلد، صعب على اللفظ به، بخلاف سائر الحروف.

٢ - ظاهرة التسهيل:

يبدو من تتبع كلام المنطقة المدروسة وقوع التسهيل في وسط الكلمة وفي آخرها. فمثال وقوعه وسطاً: جاع - بير - خايف - ذيب - هولاك - وهي على التوالي جائع، بئر، خائف، ذئب، هؤلاء.

ومثال وقوعه آخرًا: خبي - شانبيك - نابي - ابطيت، وهي على التوالي خبء - سأنبيك - نبأ (خبر) - أبطأت.

التحليل اللغوي لتسهيل الهمزة:

التسهيل أحد طرق التخلص من الهمزة، وهو ظاهرة لغوية بارزة في لهجة العود، نلاحظها حين تقع الهمزة وسطاً أو آخرًا، أما إذا وقعت أولاً فإنه لا يتأتى التسهيل. ويبدو إن أهل المنطقة المدروسة يحولون المقطع الذي وقعت فيه الهمزة - إذا كان مغلقاً - إلى مقطع مفتوح، وهو - مع ذلك - ينشئ صوت لين طويل، كما في بير - ذيب - لوم - فاس - راس، فأصلها بئر - ذتب - لؤم - فأس - رأس.

وقد يكون التغيير في أكثر من مقطع، مفتوح ومغلق، مثل: ملان - شابني.

وهو - كذلك - يحول الهمزة إلى واو أو ياء - ليست مدأ - إذا كانت مضمومة أو مكسورة، كما في هولاك، خايف، ونلاحظ أنه يحول الهمزة غير المضمومة إلى واو - في بعض الأحيان - إذا تأثرت بالضم السابق عليها كما في جشوة (بمعنى جشأت جشأة) وقد بقيت آثار لهجية تؤكد إحساس الناطقين بأصول الكلمات كما في نطقهم كلمتي (جاوع) و(جاوعين) بالواو دون الياء، مع أنها مكسورة وكان مقتضى كسرها أن تقلب حسب طريقتهم ياء. كما في (خايف) ونحوها، فهذا منهم دلالة على أصل الواو التي تحولت إلى همزة في الفصحى.

ونلاحظ إبدالهم الهمزة ياء فيما يعرف بالتخفيف البدلي، مثل: أبطيت، واخطيت، وكان ينبغي إطالة اللين القصير قبل الهمزة المبدلة، فيقالك أبطأت، أخطات، حسب القياس المتبع في تخفيف الهمزة، فإذا كان قبلها فتحة أصبحت ألفاً، وإذا كان كسرة أصبحت ياء، وإذا كان ضمة أصبحت واواً.

ونلاحظ لهذه الظاهرة أنها لجأت كغيرها من اللهجات الحديثة إلى تسهيل الهمزة والتخلص منه، وهذا خاضع لما يسمونه بقانون السهولة، فاللغات - في تطورها - تجنح إلى الخفة في أصواتها، فتتخلص من الأصوات الشديدة الصعوبة، وتلجأ إلى السهل من الأصوات - غالباً - لأن المتكلم يفضل أن يقتصد في الجهد العضلي، ليريح نفسه من العناء والمشقة اللازمة لنطق الأصوات الصعبة، ولكن هذا القانون غير مطرد (فليس معنى هذا أن قانون السهولة والتيسير ينطبق على كل الحالات، وإنما يمكن تطبيقه على كثير من التطورات الصوتية في اللغة، فإذا وجد

الباحث أن التطور الصوتي كان عكسياً أي من السهل إلى الصعب - كما وجد فعلاً في بعض الحالات - فعليه أن يبحث عن أسباب أخرى خاصة، تبرر هذا التطور، وهو - لا شك - سيجدها في ظروف خاصة باللغة التي قد يحدث فيها هذا النوع من التطور، فليس ينقص هذا القانون أن نجد أحياناً أصواتاً سهلة تطورت إلى أصعب منها في بعض الحالات^(١٨).

ونجد هذا من أسباب اختلاف اللهجات فالقبائل البدوية تميل إلى الأصوات الشديدة في نطقها، لأن طبيعتها تتناسب مع الفرقعات، والأصوات السريعة، على حين تميل القبائل الحضرية إلى رخاوة تلك الأصوات^(١٩).

صوت التاء:

فصوت التاء يتأثر بغيره فيعتريه الإبدال مع الطاء، والذال، في مواقع معينة من الكلمات. فقد لوحظ أن صوت التاء إذا وقع في ألفاظ العدد المركبة من (19-13) يفخم بحيث يصبح طاء لدى السمع، مثل: سطمش - سبعمش - تسعمش^(٢٠). وتدغم التاء مع التاء وتمد فتحتها في ثلثاعش.

كما لوحظ - أيضاً - أن التاء تنطق دالاً أحياناً، مثل (المدكأ)^(٢١) أصله: المتكأ عليه - دمر أصله: تمر.

كما لوحظ تحول الدال إلى تاء إذا سكنت أو سكن ما بعدها، مثل: (التكان) أصله: الدكان - و(التقتر) - أصله: الدقتر - و(التكتور) أصله: الدكتور، و(التيمة)^(٢٢)، أصله: الديمة، وهذا التطور خاضع لقوانين صوتية يسير وفقها.

والذي دعا إلى هذا الإبدال هو قانون المماثلة المشهور الذي يبنى على أن الأصوات المتجاورة يؤثر بعضها في بعض، فلو تجاور صوتان من مخرج واحد أو من مخرجين متقاربين، واختلف أحدهما عن الآخر في بعض الصفات كالجهر والهمس، أو الشدة والرخاوة فإن التفاعل بينهما يدعوهما إلى التماثل، في المخارج أو الصفات، وهذا يدعو إلى قلب أحدهما إلى صورة الآخر، ليتحد معه، فإذا ما كان الاتحاد تاماً بينهما سموا ذلك تأثيراً كلياً، وإذا كان في بعض النواحي دون بعضها الآخر سموه بالتأثر الجزئي^(٢٣).

ويبدو أن ذلك التفخيم ناشئ عن قانون المماثلة - فقد تجاوزت التاءان المدغمتان مع العين - في ألفاظ العدد - وهي حرف استعلاء يقتضي تفخيم الأصوات المجاورة له، فأدى ذلك إلى اتجاه التاء إلى نظيرها المطبق، وهو الطاء، على الصورة التي نسمعها من الناطق لهذه اللهجة.

وقد اتجه إلى طريق المماثلة - كذلك - قولهم: (المدكأ) - في المتكأ - فالتاء - كما نعلم - صوت مهموس - وقد تجاوز مع صوت الميم المجهور قبلها، وهما متقاربان مخرجاً، فالشفتان للميم، وأصول الأسنان للتاء، إلا أنهما يختلفان في الجهر والهمس، فالانسجام الصوتي يقضي بقلب التاء دالاً حتى يكونا مجهولين، وذلك أسهل لنطقهما، ولتزداد - مع مجاروتها - قربها في الصفات والمخارج^(٢٤). وهذا التغيير تقدمي.

وكذلك قولهم (دمر) - في تمر - فالتاء المهموسة مجاورة للميم المجهورة، فقلبت دالاً لتمائلها في الجهر، فالانسجام الصوتي يقضي بقلب التاء دالاً حتى يكونا مجهولين، وذلك أسهل لنطقهما. وهذا كله تابع من الانسجام بين الأصوات.

أما تحول الدال إلى التاء - في الأمثلة السابقة - فقد تم في بعضها نتيجة مبدأ المماثلة - أيضاً - كما في كلمة (الدكان، الدفتر، الدكتور) التي تنطق (التكان، التقتير، التكتور)، إذ أن الدال - كما نعلم - مجهورة، والكاف والفاء والتاء مهموستان، ولا بد للانسجام الصوتي من التماثل بينهما في الصفات، فحولت الدال المجهورة إلى نظيرها المهموس وهو التاء، إذ أنها من مخرج الدال، وتحمل صفة الهمس التي تتفق بها مع الفاء والتاء بعدها، فتحقق الانسجام الصوتي، وهذا التأثير يعد رجعيّاً أيضاً.

ويلاحظ ادغام اللام في التاء المبدلة من الدال، وذلك جائز لتقارب المخارج، وقد أدى قانون المماثلة إلى تحول اللام إلى تاء وادغامهم فيها.

وفي كلمة (الديمة) التي تنطق (التيمة) يبدو أن قانون المخالفة قد عمل عمله، إذ أن الأصوات الثلاثة: (د - ي - م) مجهورات - تهز الأوتار الصوتية هزاً يتوالى بعضه وراء بعض - وذلك قد يؤدي إلى بذل جهد عضلي كبير، والبدوي - كما نعلم - يريد أن يقتصر ما استطاع، فحول الصوت الأول إلى تاء مهموسة، ثم إن صوت الياء يترك للهواء حرية المرور إلى حد ما، فالانتقال منه إلى صوت الميم - مع ما فيه من الذلاقة (الخفة) يجعل النطق سهلاً.

ومع ذلك فقد تحولت الدال إلى صوت من مخرجها، وهو التاء يفقد صفة الجهد ذات الطابع المحتاج لهز الأوتار بشدة.

وتخرج من ذلك بنتيجة عامة هي أن الإبدال بين التاء والأصوات السابقة يدل على طبيعة البادية، وميل أهلها إلى السهولة، والاقتصاد في الجهد العضلي، ولذا ما ثلوا بين الأصوات، وأدغموها، بخلاف سكان المدن الذين يعطون كل صوت حقه من الجهد، فطبيعتهم تميل إلى فصل الأصوات، ونطق كل منها بوضوح كامل.

صوت (الصاد):

يميل أهل الدراسة إلى استفال الأصول بدلاً من استعلائها، فينطق الصاد سينا في مثل: (يسغي) بدلاً من (يصغي) و(يسرخ) بدلاً من (يصرخ). ونجدها أنها تشتمل على أصوات تقتضي الترخيم للأصوات المجاورة لها، مثل: (الغين، الخاء) فإنه يتجه بها ناحية الاستفال والأصوات المنفتحة.

ولعل هذا حدث نتيجة التراخي في نطق بعض الأصوات وعدم الاهتمام ببذل الجهد اللازم لها، كما هو الحال في بعض اللهجات الحديثة الأخرى. أما ما نسمعه من مظاهر الترخيم الأخرى في لهجة "العود" فلا يزال علامة واضحة على سلوك اللهجة البدوي.

كما تنقلب الصاد إلى زاي مثل: زغير وزغار - التي تنطق صغير وصغار - ويزقع التي تنطق يصقع بمعنى يبرد.

نلاحظ تأثر الصاد بما بعدها ففي الكلمة الأولى من الغين والراء، وفي الكلمة الثانية القاف والعين، فهي أصوات مجهورة فلا بد أن يكون لها تأثير على صوت الصاد المهموس، فتحوله إلى النظير المجهور وهو الزاي، وهذه الزاي مفخمة إلى حد ما، لكنها لا تصل إلى المدى الذي يوجد في بعض اللهجات العربية الحديثة كاللهجة المصرية، حين نسمع فيها: زغير - الزغار - في صغير والصدار بصورة تقترب من نطق الظاء^(٢٥).

وهذا الانسجام بين الأصوات واقع في العربية الفصحى، فالصاد إذا وقع بعدها صوت مجهور - كالدال مثلاً - فإنها تنقلب إلى زاي مفخمة، مثل: يزدق التي تنطق يصدق - قال ابن السكيت: (والعرب تقول: ازدق بمعنى: اصدق، ولا يقولون: زدق)^(٢٦).

غير أن الملاحظ - هنا - أن القلب خاص بالصاد الساكنة، وذلك معروف عند قبيلة طيء، كقولهم: هذا فزدي أنه - في فصدي أنا وقرئ: (حتى يزدر الرعاء) - في حتى يصدر الرعاء^(٢٧).

الخصائص الصوتية في اللهجات اليمنية لهجة "العود" أنموذجاً. د. عبدالكريم محمد قاسم

ولعل لجهة العود تؤكد أن هذا القلب يمكن أن يحدث دون وجود الدال طالما وجد مع الصاد صوت مجهور كالغين أو القاف أو الراء أو نحوها.

صوت الطاء:

إن قانون السهولة هو الذي دفع اليمنيين وأهل العود خاصة إلى نطقها في بعض الكلمات دالاً كقولهم دبيخ في طبيخ، وبعض المناطق كتعز تنطقها تاء كقوله تاقه في طاقة للتخفف من الإطباق.

وهذا مما يؤكد ميل اللهجة إلى الاستفال، إذ أن الكلمة السابقة تشتمل على صوت الخاء المستعلية في المثال الأول فالأنسب بقاء الطاء بها، كما في العربية الفصحى، لكن إبدالها دالاً يؤكد الحقيقة المذكورة.

صوت الكاف:

عندما يستخدم هذا الصوت لخطاب المؤنثة فإنهم يبدلونه شيئاً، فيقولون: حقش - معش - لش - بدلاً من: (حقك - معك - لك).

وهذا يدل على أنهم يتخلصون من الأصوات الشديدة ويميلون إلى الأصوات الرخوة، فالكاف صوت شديد، فأبدلوه بصوت رخو وهو الشين.

وإن هذا النطق الذي نسعته من اليمنيين ولهجة العود خاصة - وهو قلب الكاف في خطاب المؤنثة شيئاً - هو الذي قرأناه في كتب اللغة للهجة المصطلح على تسميتها بالكشكشة، فبعض قبائل العرب الفصحاء كانوا يقلبون كاف المؤنثة شيئاً أو يزيدون شيئاً بعد الكاف، في الوقف فقط أو في الوقف والوصل على سواء^(٢٨).

ونلاحظ في بعض مناطق المملكة العربية السعودية ما يتفق مع ذلك كمنطقة عسير حيث يقولون: أبوش - أخوش في (أبوك - أخوك).

وهذه الظاهرة التي تعرف بالكشكشة أو الكسكسة قد اتسع نطاقها في لهجات نجد وعسير وغيرها من مناطق الجزيرة العربية وانقلاب الكاف شيئاً يخضع - كما يقول الدكتور رمضان عبدالنواب - لقانون الأصوات الحنكية، وقد وصل إليها العلماء في مقارنتهم اللغة السنسكريتية باللغة اليونانية واللاتينية، في أواخر القرن التاسع عشر، ولاحظوا أن أصوات أقصى الحنك كالكاف والجيم الخالية من التعطيش - كالجيم القاهرية - تميل بمخرجها إلى نظائرها الأمامية، حين تليها في النطق حركة أمامية كالكسرة لأن هذه الحركة الأمامية في مثل هذه الحالة تجتذب إلى الأمام

قليلاً أصوات أقصى الحنك، فتتقلب إلى نظائرها من أصوات وسط الحنك، ويغلب أن تكون هذه الأصوات الجديدة من النوع المزدوج أي الجامع بين الشدة والرخاوة^(٢٩).

ونلاحظ في لهجة العود أننا لا نجد ازدواج الصوت المبدل، بل نجده شيئاً خالصة، وطرد الظاهرة في كاف غير المؤنث كانت معروفة في القديم، كما نقلت لنا كتب اللغة فيما عرف باسم (الشنشنة) وهي قلب الكاف مطلقاً شيئاً كما في قول اليمنيين القدماء (لبيش اللهم ليش) - في لبيك اللهم لبيك - ونحو ذلك^(٣٠).

وهذا يؤكد أن لهجة اليمن، ومثلها سائر اللهجات العربية الحديثة تجري في فلك الفصحى، وتسير على نهجها، وتخضع للقوانين التي تحكم التطور الصوتي فيها.

الصوائت:

عندما نقارن لهجة العود لبعض الكلمات، بالنطق بالفصحى لها، نرى أن ناطق بلهجة العود يحاول الميل بحركة إلى أخرى حتى يقرب من قلبها إليها، كالانتقال من الفتحة إلى الكسرة أو الضمة، وهكذا باقي الحركات ينتقل من إحداها إلى الأخرى.

ولهذا فإن أصوات اللين في لهجة العود، اعترتها تغيرات كثيرة، باعدت بينها وبين الفصحى، بانتقال بعضها إلى بعض، وتحولها إلى أشباه أصوات اللين في مواقع معينة، وتبادلها - أيضاً - مع بعض الصوامت.

فانتقال أصوات اللين بعضها إلى بعض يكون بإمالتها حيناً وإطالة قصيرها وتقصير طويلها أحياناً أخرى، ويقع ذلك كثيراً في اللهجة.

ومن هنا نشأت عدة حركات فرعية، بين الحركات المنقل عنها، والحركات المنقل إليها، وسنعرض هذه الظواهر، ونلقي الضوء على أسبابها اللغوية، والبيئية والاجتماعية ونوضح علاقتها باللغة العربية الفصحى على النحو الآتي:

١- تحول الضمة إلى كسرة أو إمالتها نحوها في الأمثلة الآتية:

شرب ← (في شُرب) - بني ← (في بُنى) - والبنيّة ← (في البُنِّيّة) - هِن ← (في هُن).

وربما كان الانتقال من الضمة إلى الكسرة ميلاً منهم إلى تجانس الحركات وتخلصاً من بذل جهد كبير، بإخراج الضمة وإيضاحها.

ونلاحظ أن الانتقال من الضم إلى الكسر، كان يتم إما عن طريق الإمالة التي تخضع للقاعدة، أو عن طريق التجانس بين الحركات التي تأخذ شكل كسرات متتابعة، على الرغم من وجود بعض حروف الحلق التي تفضل الفتحة المناسبة لها في الفصحى، ونجد أمرها - هنا - على العكس من ذلك بالميل إلى الكسرة، للتناسب الذي يريده أصحاب اللهجة، ليحقق اتفاق الحركات فتسهل عملية النطق بصورة يراها ملائمة لطبعه.

- الفتحة الممالة نحو الضمة مثل: البقرى - سوى (بمعنى نحن على اتفاق)، طلعت - استقضى.

- الكسرة الممالة نحو الضمة في مثل: لُص ← (في لِص) - قُصَة ← (في قِصَة). وإمالة الفتحة أو الكسرة إلى الضمة معروف عن العرب الفصحاء، إلا أنها تقع في مواضع لا تتفق مع ما تلاحظه في لهجة العود فما يجري فيها له وجهة أخرى ذات طبيعة اجتماعية خاصة. فالتحول الذي نراه في هذين الاتجاهين دليل على بقاء الطبيعة البدوية في لهجة العود، وتزول غرابة ذلك لو أدركنا أن تقع المنطقة ضمن إقليم المرتفعات الجبلية الوسطى لليمن، مما يجعلنا لا نستغرب إذا رأينا الاتجاه إلى الضم الذي هو مؤشر الخشونة البدوية التي تتناسب التضاريس الطبيعية للبلاد.

- ضمة ممالة نحو الفتحة في مثل: هانا (في هنا) - أنفاسنا (في أنفسنا).

- كسرة ممالة نحو الفتحة مثال: تهداد (في تهديد) - ما نجاد (في ما نجد) فساحة (فسيحة).

نلاحظ في هذين النوعين من الإمالة لا يوجد لهما نظائر في الفصحى، وإن وجد في بعض اللهجات الحديثة ويظهر أن النبر طريق سلكته لهجة العود في الوصول إليهما، ونلاحظ أن الحركات القصيرة قد طالت نتيجة لذلك.

وكل ما ذكرنا، يؤكد أن الحركات جميعاً ينتقل بعضها إلى بعض، ونحن نلاحظ أن هذه الأنواع من الإمالة - في لهجة العود - خروج الأصوات عن طبيعتها الفصيحة، في الكلمات المشار إليها، إلى أوضاع أخرى جديدة لا تعرفها العربية - وهي بهذا الاتجاه - انحراف ظاهر غير مستقيم، لأنها لا تتفق مع المأثور عن أسلافنا.

وخلاصة ما سبق نجد الملاحظات الآتية:

أولاً: أن أبناء لهجة العود - في تحولهم من الصوائت الفصيحة إلى غيرها في نطق الكلمات السابقة - سلكو طرائق العرب الفصحاء، في الانتقال من صوت إلى صوت، فقد أمال

الفتحة والضمة إلى الكسرة، والفتحة والكسرة إلى الضمة، والضمة والكسرة إلى الفتحة، وهي أنواع تجري معظمها في قواعد العربية ونظمها الصوتية الفصيحة^(٣١).

ثانياً: الإمالة - كما نعلم - خلط بين الأصوات، يؤدي إلى الإسراع في النطق والسهولة، وذلك طريق من طرق البدو يستعملونه في محاوراتهم، وكلامهم ولا يهمهم الفصل الدقيق بين الأصوات، لأنه يحتاج إلى جهد عضلي كبير، وروية وأناة وتلك خصيصة من خصائص الحضر^(٣٢).

ونستنتج مما سبق أن الإمالة التي عرفها علماء اللغة القدامى ونسبوا إلى قبائل شرق الجزيرة ووسطها تنسب - كذلك - إلى بادية اليمن، تأكيداً أن الإمالة من طبيعة سكان البادية في جنوب جزيرة العرب، ولا تقتصر على وسطها وشرقها، وإذا صح النقل والنسبة إلى هذا الجزء فقط فيما ورد لنا من العربية الفصيحة قديماً، فإن هذا البحث الحديث يشير إلى أن رواة اللغة تركوا جزءاً كبيراً من ثروة اللغة العربية وتراثها حين لم يرووا لنا كثير عن عرب اليمن القدامى.

وعلى الرغم من هذا الخلط بين الحركات فإن منطقة الدراسة (العود) تميل إلى فصل أصوات اللين بعضها عن بعض، كما في الياء والواو في الكلمات: بيت ونوم وموت وأشباهاها. وأيضاً أثبت علماء اللغة أن الأصوات الصامتة - في العربية - تستغرق زمناً أقل من الزمن الذي تستغرقه الأصوات الصائتة، وعند حديثهم عن طول الصوت اللغوي يضعون الصائتة في المقدمة، ثم يضعون الصامتة مرتبة فيما بينها بنظام خاص^(٣٣)، وقد تحدثوا عن العوامل التي تؤثر في طول الصوت اللغوي، كالنبر، والتنغيم، والتأثر بالمجاورة^(٣٤).

لكن الذي نلاحظه - في لهجة العود - أن الحركات القصيرة قد تطول، نتيجة النبر، كما رأينا في قولهم: أنفاسنا (أنفسنا) - نجاد (نجد).

وعند إطالة الحركات القصيرة فيها نجد مثل: (قوم) إذا أريد الأمر ← (قم) - (لوك) ← (لك)، فتنثبت الواو - أما، (أنتي) فقد اشبعت كسرة الضمير فتحولت إلى يا - (المخزان) فأطيلت الفتحة على الزاي إلى أن صارت ألفاً.

ونجد أيضاً أنهم يقصرون الحركات الطويلة - أحياناً - كقولهم: (حرم) ← حرام - الأوله ← (الأولى) - ذك ← ذلك.

وبما أن هذه اللهجة وغيرها من لهجات اليمن تشترك في بعض هذه الأمثلة مع بعض اللهجات العربية الحديثة، والقديمة^(٣٥).

فإن الاتجاه السائد فيها أن الضغط على مقطع معين يؤدي إلى إطالة أصوات اللين بالصورة التي نجدها واضحة في لسان أهل العود.

ونجد تحول الصوائت إلى أشباه السكون في هذه الأمثلة:

يوقفهن ، فقد حول أهل العود الضمة القصيرة إلى طويلة، وانتج واواً، وكلمة (الجبى) - بقلب الألف ياء.

وأيضاً تحويل الأصوات اللينة إلى أصوات صامتة كقولهم: زقزي ← في زقاق، فقد حول الألف زايماً، ولعل ذلك نوع من المماثلة بين الصوت المبدل وبين الصوت الأول من الكلمة، حتى يبدو التناسق بين جزئها.

وقولهم: (لا حال بك شر) فأبدل من إحدى اللامين في الفعل (حل) ألفاً ← (لا حل بك شر).

وقولهم: (تحذق) ← (تحذق) - أي كن حاذقاً - فأبدل من إحدى الدالين ياء، وقولهم: (نغسل) ← نغسل، فأبدل إحدى السينين واواً.

وفي هذه الأمثلة تخلص من أحد المضعفين بقلبه إلى صوت لين، تبعاً لمبدأ المخالفة المشهورة^(٣٦).

ثالثاً: تأثيرات صوتية أخرى:

الإقحام:

ويقصد به إقحام صوت أو حرف في صلب كلمة ما أو بين كلمتين معنيتين، وبالنسبة للهجة المدروسة الصوت المقحم أي الذي نقحه أو ندخله بين العناقيد الصوتية هو الكسر وذلك لتيسير النطق في الحالات التالية:

١- إذا دخلت (ال) التعريف على الاسم الثاني سقطت همزة (ال) ولذا لا ضرورة لإقحام الكسرة

كما في قولهم: قشر لقهوة ← قشر القهوة.

٢- إذا التقت أربعة صوامت (وذلك عندما تنتهي كلمة بصامتين وتتبعها كلمة أخرى تبدأ

بصامتين) فيستعمل حرف العلة المساعد بين الكلمتين كما في قولهم: اشتريت كُفوف ←

اشتريت كفوف .

المماثلة:

وهي أن يماثل صوت كلامي صوتاً آخر بعده أو قبله، والحالة الأولى تسمى المماثلة الراجعة والثانية تسمى المماثلة الإتباعية، والمماثلة في لهجة العود غالباً من النوع الأول: وهي على النحو الآتي:

١- المماثلة الراجعة في مثل قولهم: ما قبّش ← ما قد بش ، إزداد ← استاذ، نفل ← دفل(بصق)، رسق ← زرق - زغير ← صغير.

نجد في الأمثلة السابقة أن المماثلة الراجعة في المثال الأول هي ادغام أثر صوت الباء المشدد. أما بقية الأمثلة هي من الجهر إلى الهمس، أي إن الصوت المجهور الذي يسبق الصوت المهموس يتحول إلى صوت مهموس نظير له.

٢- المماثلة الإتباعية في مثل قولهم: وحتى ← وحدي - يجس ← يجلس - نص ← نصف.

نلاحظ في هذه الأمثلة أن المماثلة الإتباعية في المثال الأول هي الهمس أما في بقية الأمثلة فهي الادغام.

النبر:

هو ازدياد شدة الصوت، وارتفاع نغمة أو امتداد مدته.. مما يؤدي إلى وضوح نسبي لصوت أو لمقطع إذا قورن بغيره من الأصوات أو المقاطع المجاورة^(٣٧). فتتألف الكلمة من مقطع أو أكثر من مقطع في العربية، والمقطع المنبر هو المقطع الذي يعطي قوة في التلفظ أكثر من غيره، والنبر في اللهجة المدروسة كما هو في الفصحى ومعظم اللهجات العربية، أي أننا نستطيع أن نجد المقطع المبتور في الكلمة من تتابع أو توافق الصوامت والصوائت في تلك الكلمة.

تتألف الكلمة في اللهجة المدروسة من مقطع واحد أو مقطعين أو ثلاثة مقاطع أو أربعة مقاطع تضبط القوانين أدناه النبر في الكلمات التي تتألف من مقطعين أو أكثر والإشارة (/) فوق نوع المقطع تعني أن ذلك المقطع مبتور، وهي على النحو التالي:

أ- في الكلمات التي تتألف من مقطعين يقع النبر على المقطع الطويل، وإذا كانت الكلمة مؤلفة من مقطعين طويلين يقع النبر على المقطع الأول، وفي غيرها بين الحالتين، يقع النبر على المقطع الأول، ومن أمثله: أديت ← قصير + طويل، رجّال ← قصير + طويل، طيقان ← طويل + طويل، فيسع (بسرعة) ← طويل + قصير، مره (امرأة) ← قصير + قصير.

ب- في الكلمات التي تتألف من ثلاثة مقاطع يقع النبر على المقطع الثاني إذا كان المقطع الثاني طويلاً ويقع على المقطع الأول إذا كان المقطع الثاني قصيراً ومن أمثله في هذا النوع ما يأتي: ديوانين (مجلسين)، دولابين ← طويل + طويل + طويل، قارورة، دولابك ← طويل + طويل + قصير.

واحد ← طويل + قصير + قصير، زارت حين (أي أحياناً) ← طويل + قصير + طويل + قراقيش ← (التي توضع برأس الفتاة كحجاب) ← قصير + طويل + طويل، حريوه ← قصير + طويل + قصير، مرتين ← قصير + قصير + طويل، مدرسة ← قصير + قصير + قصير.

ج- في الكلمات التي تتألف من أربعة مقاطع يقع النبر على المقطع الثالث إذا كان المقطع الثالث طويلاً وعلى المقطع الثاني إذا كان المقطع الثالث قصيراً، ومن أمثله في اللهجة المدروسة: تكلمين، قراقشك، يتغدوا.

هناك عوامل أخرى تؤثر في موضع النبر منها أسلوب الكلام وموضع الكلمة في الجملة والشدة أو درجة القوة وحالة الانفعال للمتكلم الذي يلفظ بها مقطع من مقاطع الكلمة للأهمية فمثلاً يرقد، وسيروا، وقولهم: (يستاهل البرد من ضيع دفاه) ← يس + تا + هل الكلمة: يستاهل، فيؤثر أسلوب الكلام وموضع الكلمة في الجملة موضع النبر، في المقاطع؛ ولهذا فإن قواعد النبر أعلاه ليست قواعد مطلقة ولكنها تراعى معظم الأحيان.

الخاتمة:

بعد حمد الله فقد خلصت هذه الدراسة إلى أن الخصائص الصوتية لهجة المدروسة تؤكد أنها ما زالت تحمل بعض الخصائص اللغوية التي تحملها العربية الفصحى، وقد توصل البحث إلى جملة من النتائج في الدراسات اللغوية، نستعين بها في معالجة التغيرات اللغوية التي اعترت العربية الفصحى، فدراسة الظواهر الصوتية لهجة وخصائصها يؤدي إلى وضع العلاج لأسباب الانحراف في نطق الفصحى العربية ونستخلص من دراستنا ما يأتي:

١- لاحظنا أن معظم الظواهر الصوتية تشترك فيها القبائل اليمنية مع بعضها البعض. والناظر في كتاب الإبدال لأبي الطيب اللغوي، أو ما يتعلق بالإبدال والقلب في كتاب المزهر للسيوطي أو غيره من كتب الإبدال اللغوي، يلمس هذا الاشتراك بشكل واضح وكبير.

٢- لا ينفي انتشار الظاهرة الصوتية بين أكثر من لهجة الخصوصية عنها فإذا ما وجدنا أن الظاهرة اللغوية قد امتد استعمالها إلى بيئتين مختلفتين فإننا عن طريق التتبع التاريخي، نستطيع تحديد منشأ الظاهرة. فخصوصية الظاهرة تبقى مرتبطة المنشأ الذي ظهرت فيه أول ما ظهرت، ويبقى مجال انتشارها محصوراً في إطار التأثير والتأثر.

٣- لاحظنا نطق اللهجة المدروسة للكاف شيئاً فيما يعرف باسم الكشكشة في خطاب المؤنث مثل: (حكك) يقولون فيها (حكش). والقاف تنطق جيماً قاهرية فيقال في نطق (قال) جال. وكما في صوت الضاد الذي تحول إلى ظاء، وصوت التاء إلى صوت الدال وصوت السين إلى صوت الزاي، وغيرها.

٤- ونطقت اللهجة المدروسة الياء همزة في بعض الكلمات الواردة بالأصل اليائي في العربية الفصحى، ومن ذلك نطق الكلمة رثيت الميث ← رثأت الميث.

٥- ولاحظنا في الدراسة أن الحركات تتبادل، ويحل بعضها محل بعض كما نلاحظ أن أصوات اللين الطويلة تقصر في بعض الأحيان فيقال في قال لي ← (قلي) - وفي جاء لي بكذا ← (جبلي). وهذا يعني أن أصوات اللين قد انحرف نطقها على العربية الفصحى.

٦- حافظت اللهجة المدروسة على بعض الأصوات الساكنة التي فقدت في معظم اللهجات العربية الحديثة.

الخصائص الصوتية في اللهجات اليمنية لهجة "العود" أنموذجاً. د. عبدالكريم محمد قاسم

٧- الاختلاف في موضع النبر من خلال طريقة وأسلوب النطق للهجة المدروسة بدرجة تختلف قليلاً أو كثيراً عن نظيره المنبور من الكلمة نفسها حين تنطق في لهجة أخرى.

فهذه صور من الخصائص الصوتية وغيرها من الصور داخل الدراسة للهجة العود. التي حاولنا تحقيقها في هذا البحث.

وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

الهوامش:

- (١) ينظر: معجم البلدان، ٦٨/٥.
- (٢) ينظر: معجم القبائل والبلدان اليمنية، ص ٤٧٣.
- (٣) ينظر: اللغة العربية، د. عبدالغفار حامد، ص ١٤٩.
- (٤) ينظر: سر الصناعة، ١٩/١.
- (٥) ينظر: الكتاب، ٤٠٥/٢.
- (٦) ينظر: سر الصناعة، ٧٠/١، ٧١.
- (٧) ينظر: التجويد والأصوات، ص ٥١.
- (٨) ينظر: علم اللغة، د. السعران، ص ١٧٠، دار الفكر العربي القاهرة، ١٩٩٩ م.
- (٩) ينظر: الأصوات اللغوية، ص ٦٧، ومجلة الأزهر عدد شوال ١٣٨٠هـ، مارس ١٩٦١م، من مقال بعنوان: مصطلحات سيبوية في الأصوات العربية، د. تمام حسان، ص ١٠٨١.
- (١٠) ينظر: اللغة العربية، د. عبدالغفار حامد هلال، ص ١٧٤، دار الفكر العربي القاهرة ط ١ ١٩٩٨م.
- (١١) ينظر: إذ لا بد لذلك من اتصال طرف اللسان بأطراف الثنايا العليا بصورة تتطلب حذر ودقة.
- (١٢) ينظر: لهجة البدو، عبدالعزيز مطر، ص ٤٥.
- (١٣) ينظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ص ١٠٢.
- (١٤) ينظر: اللهجات العربية، د. عبدالغفار حامد هلال، ص ١٤٩، الأصوات اللغوية، ص ٥٢، ٥٣.
- (١٥) ينظر: الأصوات اللغوية، ص ٦٥، ٦٦.
- (١٦) ينظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ص ٨٧، ١٠٣، ١٠٤.
- (١٧) معنى الكلمات على الترتيب: جنبية: سلاح أبيض - جبا: السقف - جهال: أطفال - تجاهك: أمامك، تراجع: تقذف بالحجارة، بتجسو: طلب بالجلوس..
- (١٨) ينظر: الأصوات اللغوية، ص ٦٩، ومجلة الأزهر عدد شوال ١٣٨٠هـ، مارس ١٩٦١م، من مقال بعنوان: مصطلحات سيبوية في الأصوات العربية، د. تمام حسان، ص ١٠٨١.
- (١٩) ينظر: الأصوات اللغوية، د. عبدالغفار حامد هلال، ص ١٤٠-١٤١.
- (٢٠) ستة عشر - سبعة عشر - تسعة عشر.
- (٢١) توضع في المجلس التي يتكأ عليها.
- (٢٢) المطبخ، اللهجات العربية، د. عبدالغفار هلال، ص ١١٧.

- (٢٣) ينظر: مجلة كلية اللغة العربية بالرياض، العدد الخامس، د. عبدالغفار هلال، ص ١١٢، ١١٣.
- (٢٤) ينظر: الكتاب، ٤٢٦/٢، والخصائص، ١٤٤/٢.
- (٢٥) ينظر: مجلة كلية اللغة العربية، العدد الخامس، ص ١٢٤.
- (٢٦) القلب والإبدال، ص ٤٥.
- (٢٧) ينظر: الإبدال لأبي الطيب اللغوي، ١٢٦/٢-١٢٨.
- (٢٨) ينظر: اللهجات العربية، د. عبدالغفار هلال، ص ٧٢.
- (٢٩) ينظر: اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، ص ١٢٣.
- (٣٠) ينظر: اللهجات العربية، د. نجا، ص ٨٣، وانظر بحث: أحمد شرف الدين، مجلة الدارة، ص ١٣٤.
- (٣١) ينظر: مجلة كلية اللغة العربية بالرياض، العدد السادس، د. عبدالغفار هلال، ص ١٤٤-١٤٦.
- (٣٢) نفسه، ص ١٥٠، علم وظائف الأصوات، د. عصام نور الدين، ص ١١٢.
- (٣٣) ينظر: التجويد والأصوات، ص ٨٨-٨٩، والأصوات اللغوية، ص ١٠٤، وما بعدها.
- (٣٤) ينظر: التجويد والأصوات، ص ٩٠-٩١.
- (٣٥) المماثلة والمخالفة هي تفاعل الأصوات، وهو تأثرها بما قبلها أو بعدها، وهو قانون لغوي مشهور، انظر اللغة (فندريس)، ص ٨٠.
- (٣٦) ينظر: علم الأصوات، د. كمال بشر، ص ٤٦٥.
- (٣٧) ينظر: الأصوات اللغوية، د. عبدالقادر عبدالجليل، ص ١٣٩.

قائمة المصادر والمراجع:

- ١- إبراهيم أنيس (دكتور)، الأصوات، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥م.
- ٢- إبراهيم أنيس (دكتور)، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٨، ١٩٩٠م.
- ٣- إبراهيم السامراني، في اللهجات العربية القديمة، دار الحدائق، ط ١، ١٩٩٤م.
- ٤- أحمد شرف الدين: لهجات اليمن قديماً وحديثاً، مطبعة الجبلوي، القاهرة، ١٩٧٠.
- ٥- إسماعيل الأكوغ: الأمثال اليمانية، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط ٢، ١٩٨٤م.
- ٦- ابن جني: سر صناعة الاعراب، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ١٩٥٧م.
- ٧- عبدالغفار هلال (دكتور)، اللهجات العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١، ١٩٩٨م.
- ٨- عبدالقادر عبدالجليل (دكتور)، الأصوات اللغوية، دار صفاء، الأردن، ١٩٩٨م.
- ٩- كمال بشر، (دكتور): الأصوات العربية، مكتبة الشباب، ١٩٨٥م.
- ١٠- كمال بشر، (دكتور)، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- ١١- محمود السعدان، (دكتور): علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، دار الفكر العربي، ١٩٩٩م.
- ١٢- يحيى الشامي: من اللهجات اليمانية الحديثة، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد الثامن، ١٩٤٦م.